

## مؤتمر المرأة العالمي الرابع

بيجينغ ٤-١٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥

الأب كميل حشيمه اليسوعي °

إلتأم في العاصمة الصينية بيجينغ، بين الرابع والخامس عشر من شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥، المؤتمر العالمي الرابع المخصص بدراسة شؤون المرأة. وكان هذا اللقاء أضخم ما نظّمته الأمم المتحدة من نوعه في تاريخها، إذ اجتمع آنذاك ما يناهز الـ ٤,٨٠٠ مندوبة، يمثلن ١٨١ بلداً، فضلاً عن تجمّع آخر مواز أقيم في مدينة هوايرو على بعد ٥٠ كيلومتراً من بيجينغ. وقد ضمّت متدى هوايرو هذا ما يقارب الـ ٤٠,٠٠٠ مشاركة يمثلن المنظمات غير الحكومية، وانفتح يوم ٣٠ آب/ أغسطس أمام نحو ١٨,٠٠٠ امرأة. وهذا اللقاء هو أيضاً أكبر تجمّع تقوم به المنظمات النسائية الآتية من كلّ أنحاء العالم، وتُعبّر من وسائل المنظمات غير الحكومية للتأثير في الدول التي تتخذ القرارات إبان المؤتمرات الرسمية.

### أ - المؤتمرات السابقة والأوضاع الراهنة

يترج لقاء بيجينغ في سلسلة من لقاءات أخرى سبقته، نظّمتها الأمم المتحدة، والتأمت كلّ خمس سنوات، منكبّة على أوضاع المرأة في

(٥) مدير دار المشرق ومجلة المشرق

العالم. وكان أولها مؤتمر مدينة مكسيكو عاصمة المكسيك، العام ١٩٧٥. وموضوعاته الأساسية كانت ثلاثة: المساواة - التي تنشدها المرأة -، التنمية - التي لا بد منها على وجه الإجمال ليتسنى تنمية المرأة على وجه خاص -، والسلام - الذي بدونه تعاني المرأة أكثر من سواها، وهو ضروري لإحلال المساواة ودفع عجلة التنمية.

وأقيم المؤتمر الثاني في عاصمة الدانمرك، كوبنهاغن، العام ١٩٨٠، وتركزت موضوعاته على نواح ثلاث: العلم والعمل والصحة. ولا يخفى ما لهذه الأمور من أهمية لرفع شأن المرأة. والتأم اللقاء الثالث في فيرربي، عاصمة كينيا، في العام ١٩٨٥، وعالج ما عالجه سابقه.

أما مؤتمر بيجينغ، فلم يشذ عن قاعدة المؤتمرات الأرولى لجهة الأهداف المرسومة، وسعى إلى عرض ما حُقّق حتى اليوم وتقويمه ووضع خطة للمستقبل، لا سيما القريب منه، أي للسنوات التي تفصلنا عن نهاية هذا القرن، تاريخ انعقاد المؤتمر التالي. ويلفت النظر سرعة التواتر بين مؤتمر وآخر، ولا عجب، فالتسارع في عالم اليوم ظاهرة واضحة، والوقت لا يرحم، وأوضاع النساء في أغلبية البلدان، إن لم يكن في جميعها، ليست على خير ما يرام، ولا يختلف في ذلك اثنان.

### أوضاع غير مرضية

فلئن ضربنا صفحا عن بعض الاستثناءات التي سجّلها التاريخ ماضيا حول ما حقّفته بعض النساء الشهيرات، لرأينا أنّ ما اضطلمت به المرأة من دور حتى أيامنا، لا يساوي ما هي ثمينة بأن تقوم به، لا بل لَمَسنا أنّها مغبونة وحتى مظلومة في كثير من أمورها<sup>(١)</sup>: وحالات الجور التي يشكوها

(١) يتخى المتأملون بما أنجزته بعض الملكات التابعات، كزنوبيا عاهلة تدمر في القرن الثالث الميلادي، أو تلك الإمبراطورة الصينية، من سلالة تانغ، التي جلست على سدة الحكم طوال أربعين سنة (٦٦٥م إلى ٧٠٥م). ويرزون ما وصلت إليه بعض الأديبات والشاعرات، أو بعض الفاضلات الحكيمات، من شهرة فتحت لهنّ أبواب النور. ولكن ذلك كله أشبه بمشال ذرة إذا ما قيس بالمسزوليات الجبسة التي أتبطت بالرجال، أو التي استأثر بها هؤلاء، على مدى الأجيال.

النساء عامةً، وشكّون منها في بيجينغ خاصةً، كثيرة في بلدان العالم كافةً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، بدءًا مما هو أشدّ إجحافًا بهنّ:

- وأد البنات: وقد يستغرب القارئ ذكر هذه الآفة في عصرنا، ظانًا أنها ذهبت مع تولّي عصر الجاهليّة. ولكنّ الوقائع شاهدة، وما زالت تلك العادة باقية في الصين مثلًا، على الرغم من مرور قرن على حركات التحرّر في تلك البلاد<sup>(٢)</sup>.

- إستمعاد المرأة على أنواعه: فما زالت الفتيات في الصين يُعَبَّرُ بأثمان باهظة أو بخمسة في البلد المذكور، لا سيما في الأرياف. وسُجِّل بين ١٩٨٠ و١٩٨١ بيع ١١٥ امرأة بمبلغ إجماليّ مقداره ١٤,٠٠٠ دولار<sup>(٣)</sup>. ويعرف القاضي والداني أمر تجارة الرقيق الأبيض المتسفي في معظم بلاد المعمورة، حتّى في تلك التي تدّعي التشدّد في الحفاظ على الأخلاق وحقوق الإنسان. وما سبب ذلك إلا سيطرة جنس الرجال على ما درجت تسميته بالجنس الضعيف<sup>(٤)</sup>.

- سوء أوضاع الأرامل في بعض الأقطار الآسيويّة: فالترنل حُسب في الصين، حتّى عهد قريب، لعنة تنسب على المرأة، وكان الزواج بأرملة عارًا لا يرضى به إلا من نقص عقله. هذا الوضع المخزّي الذي فُرض

(٢) صحيفة النهار البيروتية، ١٩٩٥/٨/٢٤، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ومن مظاهر العنف الذي تعانيه النساء بسبب الرجال، ما يستب أهمل باكستان الموت بالقرن. فقد أوردت جمعية النساء التقدميات في هذا البلد إحصاءات تفيد أنّ بضع مئات من التبعيات يمسن كل سنة، خدسة في إقليم السجاب، بسبب احتراق الحجاب الذي يغضي رؤوسهنّ ويدعى بـ«شوار قميز». ويعود ذلك، كما بيته السيدة شبناز بخاري، رئيسة الجمعية المذكورة، إلى أنّ الرجال، الناقمين على زوجاتهم، يلعبون إلى رشهنّ بالكاز وإحراقهنّ مذعنين أنّهنّ احترقن لارتبايهنّ من أفان الغاز في المطابخ. وقد نحرّت شبناز بخاري عن نحو أربعين حادثة احتراق «بالقرن» مشكوك في أمرها. فلم يجز شاهد واحد على الإدلاء بشهادته على الرغم من تضافر الأدلة التي تدّين الرجل. وكثيرًا ما تتواطأ الشرطة والجنس القوي على هذا الأمر (راجع صحيفة L'Orient - Le Jour البيروتية، تاريخ ١٩٩٥/٩/٢، ص ٩).

على المرأة في الصين، قابله وضع مشابه في جارتها الهند. وتحوم الشبهات حول زوال عادة ما يُسمى «ساتي» التي تقضي بأن تُقدم الأرملة على إحراق نفسها في النار التي تُحرق فيها جثةُ בעلها<sup>(٥)</sup>.

- القساوة في معاملة المرأة الزانية، خلافاً لما هو من أمر الرجل: إنَّ القانون والتقليد يحلّان للزوج قتلها من غير عقاب يُذكر في كثير من أقطار العالم الثالث، وبلادنا المريّة تتسامح، وبأ للأسف، مع ما يُعرف بجرائم تحصيل الشرف وغسل العار.

- الطلاق التمسّقي، خاصّةً في بلدان العالم الثالث: حيث لا يندر أن تُحرم المرأة حقّ المبادرة في عمليّة الطلاق، في حين يتمتّع الرجل بهذا الحقّ إلى حدّ اللجوء إليه اعتبارًا وبإسراف.

- ختان الإناث في كثير من البلدان، الإفريقيّة منها خاصّةً: لقد أشار محمّد مصطفى خليل، من منظمّة حقوق الإنسان المصريّة، أن نحو ١٣٠ مليوناً من الإناث في أكثر من ٣٠ بلدًا أُجريت لهنّ عمليّة الختان، وأنّ مهاجرات من إفريقيا إلى الغرب ما زلن يحافظن على هذا التقليد، موضّحًا أنّ خمسًا من النسوة تُجرى لهنّ عمليّة الختان كلّ دقيقة، أو مليوني امرأة على مستوى العالم كلّ سنة. (. . .) وأكّد أنّ ٩٠ في المائة من إناث ريف مصر و ٦٥ في المائة من نساء الحضر تُجرى لهنّ عمليّة الختان التي تتمّ، في معظم الأحوال، في ظروف غير صحيّة<sup>(٦)</sup>.

- إنتقاص حقوق النساء في مجالات العمل والرواتب: فجميع

(٥) النهار، ١٩٩٥/٨/٢٤، ص ١٦.

(٦) النهار، ١٩٥/٩/٢، ص ١٣. إلّا أنّ الحريرة المذكورة أوردت في عددها الصادر يوم ١٨/٩/٩٥، ص ١٢، أنه، بالاستناد إلى وكالة الصحافة الفرنسيّة، أناد مصدر قضائيّ أنّ الأزهر، أعلى هيئةٍ سنّيّة في مصر، أصرّ السبت على موقفه المؤيّد ختان الفتيات، في إطار دعوى أقامتها عليه المنظمّة المصريّة للدفاع عن حقوق الإنسان. وأرضح أنّ محامي شيخ الأزهر الإمام جاد الحقّ عليّ جاد الحقّ قدّما إلى محكمة الدرجة الأولى في القاهرة، آراء عند من الأصحاب الذين يؤيّدون ختان الفتيات. كذلك تحدّثوا عن أبحاث أُجريت في فرنسا ونقلتها جريدة الأهرام الحكوميّة المصريّة تؤكّد، على حدّ قولهم، أنّ ختان الفتيات يقلّل مخاطر الإصابة بمرض قصور الساعّة البشريّة المكتسبة (ليدز).

الدراسات التي قام بها الباحثون في هذا الصدد، تُبين أن ثمة تمييزًا، أشبه بالتمييز العنصري، يُلحق بالمرأة ظلمًا لا ترضى عنه. وبحسب وثيقة صادرة عن مكتب العمل الدولي ورُفعت يوم الخميس ٧ أيلول في بيجينغ، تعمل النساء أكثر من الرجال بمعدل ساعتين في النهار، ورواتبهن أقل من رواتب الرجال بنسب تتراوح بين ٥٠ و ٨٠ بالمائة. وفي إحصاءات جرت سنة ١٩٨٠ كانت نسبة النساء في دوائر العمل كما يلي: ٣٨٪ النسبة العامة، وفي الزراعة ٤٠-٥٠٪، وفي الصناعة ٣٣٪<sup>(٧)</sup>. أمّا في البلاد العربية، نسبة النساء في سوق العمل ما زالت متدنية جدًا حتى يومنا هذا، إذا ما قورنت بالنسبة العالمية السابقة الذكر، والمسجلة منذ ١٥ سنة. فقد أعلنت قرينة رئيس الجمهورية اللبنانية، السيدة منى الهراوي، في أثناء حلقة عمل شاركت فيها بيجينغ، أنّ نسبة النساء اللبانيات في سوق العمل، وهي الأعلى في الدول العربية، لا تتجاوز الـ ٢٧ في المائة<sup>(٨)</sup>.

- غياب المرأة عن مراكز القيادة، سواء أفي الميدان السياسي، أم في الحقل الديني: فعلى الرغم من ازدياد عدد النساء اللواتي يرأسن حكومات أو دولًا، حتى في العالم الثالث، فليس في الوقت الحاضر سوى عشر منهنّ يضطلعن بمثل هذه الوظائف: كالسيدة خالدة ضياء رئيسة حكومة بنغلاديش، والسيدة بنازير بوتو رئيسة حكومة باكستان، والسيدة تانوشيلر رئيسة حكومة تركيا، أو السيدة غرو هارلم برنتلاند صغرى رئيسة حكومة في تاريخ نروج، أو رئيسة إسكلدا السيدة فيغديس فينوغادوتر. ومعلوم أنّ الدول القائمة حاليًا في العالم تناهز اثنتين. فبين هذا العدد وعدد النساء الحاكمات بون شامع. كما أنّ عدد النساء

(٧) النهار، ٢٤/٨/١٩٩٥، ص ١٦.

(٨) النهار، ٧/٩/١٩٩٥، ص ١٤. وتجدر الإشارة في المناسبة إلى أنّ أوضاع المرأة هي، على كلّ حال، في تنقّم. وقد أوردت زوجة الرئيس الهراوي في كلمة لبثان التي ألقاها أمام المؤتمرات في بيجينغ، أنّ التشريع اللبناني رفع بعض الحجب اللاحق بالمرأة، فقد جرى الاعتراف بأهليتها للشهادة في السجل العنقاري (١٩٩٣)، وحقّ المترجّة في ممارسة التجارة (١٩٩٤). أطلب النهار، ٨/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

الوزيرات أو المتخبات في المجالس النيابية هو ضئيل جدًا حتى اليوم في العالم. وفي بلد كلبنان، حيث تُعتبر المرأة على قسط وافر من التحرر والتقدم، ليس من امرأة واحدة في ميدان الوزارات، وبين نوابه الذين ينفون على المائة، هناك ثلاث نساء فقط.

وفي الحقل الديني يشكو النساء تسلط الرجال واعتبارهم النساء غير صالحات للاضطلاع بالمسؤوليات. وقد انتهزن مناسبة انعقاد منتدى هواريو لإعلان امتيانهن من هذا الوضع، فكانت مداخلاتهن أشبه بحرب تُشن خاصة على الحركات الأصولية أو التقليدية المتشددة. ومما لفت النظر بين تلك التصريحات، ما قالته ممثلات لجنة الدفاع عن النساء في إيران، وجماعة «النساء الإيرانيات في المنفى»، إذ دعون النساء إلى «إظهار غضبهن في وجه النظام الديني القائم في إيران. ومما ذكرن غير راضيات، أن الطلاق «مسموح للرجال فقط»، وهؤلاء يستطيعون الاقتران «بأربع نساء أو أكثر». وبعض المهن، كمهنة القضاء، محصور بالرجال، والمرأة، من الناحية القانونية، «تساوي نصف الرجل»<sup>(٩)</sup>. وكذلك احتجت نساء إسرائيليات على إجراءات الطلاق في بلدهن، ورأين أن تغيير الأوضاع وتحسينها سيتمان يوم يتاح للمرأة الوصول «إلى مراكز رفيعة» في التراتبية الدينية<sup>(١٠)</sup>. وهذا ما يذكر بالحملات النسائية في بعض بلاد الغرب، للسماح بمنح النساء درجة الكهنوت.

- نفسي الأمية: فتعليم المرأة ما زال متعثرًا في كثير من البلدان. وما دامت المرأة غير متعلمة، تظل عرضة لتسلط الرجال وتسلط كرامتها. إلا أن محاربة الأمية قائمة على قدم وساق في مناطق كثيرة من

(٩) راجع *L'Orient - Le Jour*، ١٩٩٥/٩/٢، ص ٩.

(١٠) المرجع نفسه. ومما قالته ولي دافني، وهي ناشطة كويتية في مجال الدفاع عن حقوق المرأة: «أعتقد أن مشكلتنا كملسين هي عدم مشاركة النساء في تفسير القرآن (...). ليس ثمة دين يوصي بمنح النساء. إنه استغلال الرجال للدين لتحقيق مصالحهم» (النهار، ١٩٩٥/٩/٤، ص ١٣).

العالم، ممّا يدعو إلى التفاوض<sup>(١١)</sup>. فهل ساهم مؤتمر بيجينغ في تثبيت هذا التفاوض؟ وماذا عن مآجرياتِه؟

### ب - التحضير والتحذير

أمام لائحة الشكاوى النسائية الطويلة، ثارت حميّة المنقّعات المميّنة بالمرأة في العالم بأسره، وخذت حذوها الدوائر الحكوميّة، فراحت تنهياً للمؤتمر أشهراً قبل انعقاده. وعلى سبيل المثال، ذُكر أنّ الوفد اللبنانيّ راح يعدّ عدته أحد عشر شهراً قبل موعد المؤتمر، وضّم ممثلات عن الوزارات واللجان الأهليّة والمحاميات والباحثات.

وتخوّف كثيرون ممّا سيحدث في المؤتمر، إذ كان من المنتظر أنّ مشاكل عديدة ومسانل حسّاسة ستثار فيه، ممّا يهدّد بالتعرّض لأوضاع راهنة راسخة الجذور، لا بل لمقلّمات ومحرمات.

فعلى الصعيد المدنيّ، احتاطت السلطات الصينيّة لكلّ طارئٍ أمّنيّ أو أخلاقيّ، وخشيّة أنّ تقوم جماعات الشاذات جنسيّاً من التظاهر وحتى من الظهور على نحوٍ مشير، صادرت الحكومة مطبوعات تلك الجماعة باللغة الصينيّة باعتبار أنّ الشذوذ غير موجود في الصين<sup>(١٢)</sup>.

---

(١١) جاء في كلمة السيّدة منى الهراوي أمام المؤتمرات أنّ عدد العنصر النسائيّ بين الطلّاب الجامعيّين اللبنانيّين كان ٢٥,٢ بالمائة عامي ١٩٧٣-١٩٧٤، فارتفع إلى ٤٨,٢ بالمائة عامي ١٩٩٣-١٩٩٤ (النهار، ١٩٩٥/٩/٧، ص ١٤). ونرى تقدّماً ملحوظاً أيضاً في سائر البلاد العربيّة، وإن لم يصل إلى ما هو عليه في لبنان. أطلب مقال صلاح أبو جردة اليسوعيّ بعنوان: «واقع التربية في البلدان العربيّة على مشارف القرن العشرين»، المشرق، عدد تمّوز - كانون الأوّل ١٩٩٥، ص ٣٠٩-٣١٩. ومما ورد في هذه الدراسة أنّ نسبة الفتيات في التعليم عامّة بالبلدان العربيّة ارتقت من ٣٧٪ عام ١٩٧٥ إلى ٤٣٪ عام ١٩٩١، وفي التعليم العالي من ٢٨٪ عام ١٩٧١ إلى ٣٧٪ عام ١٩٩١.

(١٢) النهار، ١٩٩٥/٩/٤، ص ١٣. وفي نشاط مماثليّ لنشاط الشاذات، كانت بنات الهوى، أو العاملات في الجنس كما يفضّلنّ أن يُدعّين، يطالبن «بحترقهنّ». فقالت إحدهنّ، بيرتون جو دويزيماء، عضو «شبكة المشاريع الجنسيّة المشاركة»: «يجب إلغاء تجريم الدعارة، والاعتراف بالعمل الجنسيّ عملاً مشروعاً، وتوفير الحماية والحقوق نفسها، التي يتمتع بها العامل، لبنات الهوى!» (المرجع نفسه).

أما على صعيد الأخلاق والبيادئ، فقد وقفت السلطات الروحية الإسلامية، والمسيحية الممثلة بالثاتيكان، موقف الترقب بل الحذر، لعلها أن غلاة التحرر سيمتلون مطية المؤتمر ليثوا أفكارًا لا تقبلها الأديان التوحيدية، على نحو ما حصل في مؤتمر القاهرة حول السكان والتنمية عام ١٩٩٤. ومن أبرز المحذرين من مقبات مؤتمر بيجينغ، شيخ الأزهر الإمام جاد الحق علي جاد الحق. ففي بيان صدر يوم ٢١/٨/١٩٩٥ عن مجمع البحوث الإسلامية الذي يرثه شيخ الأزهر، ندد سماحته بهذا اللقاء معتبرًا أنه يرمي إلى «إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة وتحويل الإنسان إلى مسخ لا هو بذكر ولا هو بأنثى»<sup>(١٣)</sup>. وطلب «الدول والشعوب بإعلان التحفظ عما ورد في برنامج بيجينغ مما يخالف الشريعة الإسلامية وسائر الأديان السماوية، أو يتناقض مع القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة ولا سيما ما يتعلّق بشكل الأسرة ونظامها في هذه الأديان، وإطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به»<sup>(١٤)</sup>. ورأى أن «هدف واضعي برنامج بيجينغ هو تدارك ما فاتهم إقراره في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية»<sup>(١٥)</sup>. كذلك ندد البيان بمفاهيم واضعي البرنامج، ومنها تقبّل العلاقات الجنسية الحرة، واعتبار «الدين عائقًا في سبيل المساواة التامة بين الرجل والمرأة»<sup>(١٦)</sup>. وأوصى شيخ الأزهر بالتحفظ عن هذا البرنامج «حتى لا تلتزم الأمة الإسلامية شيئًا منه»<sup>(١٧)</sup>.

(١٣) النهار، ٢٢/٨/١٩٩٥، ص ١٢.

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) المرجع نفسه.

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) المرجع نفسه. ومن الذين نهجوا على المؤتمر قبل انعقاده، الشيخ عبد العزيز عبدالله بن باز، رئيس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية. فقد دعا المسلمين من دبي، ليلة الأحد ٣ أيلول، إلى مقاطعة مؤتمر بيجينغ لأن بعض الموضوعات المدرجة في جدول أعماله تتناقض وبيادئ الدين الإسلامي وتساهم في نشر الفحشاء من خلال ممارسة الجنس الآمن، والممارسات الجنسية خارج إطار العلاقات الزوجية، وتعليم الشبان والشابات المسائل الجنسية. (النهار ٩/٥/١٩٩٥، ص ١٦).

وصدر بيان آخر عن جهات إسلامية، هو بيان حزب الله، الذي أُعلن يوم ١ أيلول، وقد لفت الأنظار لأنه لم يرفض فكرة المؤتمر جملةً وتفصيلاً، بل دعا إلى العمل من داخله لمنع صدور مقررات تتنافى والقيم الروحية التي يؤمن بها الحزب. ومما جاء في هذا البيان<sup>(١٨)</sup> أن جماعات نسائية متطرفة في أميركا كان لها اليد الطولى في إعداد وثيقة المؤتمر، وترأس بعض هذه الجماعات نسوة شاذات. ورفض البيان رفع شعار المساواة بين الرجل والمرأة بدون تمييز، لأن من ورائه خطرًا يتمثل بإلغاء التوارق الطبيعية والبيولوجية بين الرجل والمرأة، وتجاهل الواقع الموضوعي والعلمي والوجداني. فالمساواة الكاملة بين الجنسين تكون في القيمة الإنسانية والاجتماعية. كذلك رفض البيان ما ورد في برنامج بيجينج من بنود توحى بأن الأسرة ليست سوى عادة بشرية يمكن الاستغناء عنها، وتلك التي تسعى لضرب التشريعات ذات الأصول الدينية كالتى تمت إلى الإرث. فالأديان السماوية وقيمها الأخلاقية هي المقصودة من خلال هذه المواجهة المقتعة، ولم يُخفِ الحزب قلقه العميق من وقوف جهات سياسية وراء هذه المخططات الخيثة ولا سيما المؤسسات الصهيونية واليهودية بغية تفكيك بُنى المجتمع التحتية والمقدسة. وتتهي البيان بمقترحات إيجابية تحضّ المؤتمرات في بيجينج وجميع أفراد البشرية المعاصرة على أن يدرسوا حياة شخصيات عظيمة من الرجال والنساء، أفرادٍ وأسرٍ، كنماذج يُقتدى بها للمساعدة على وضع حلّ صحيح للمشكلات الاجتماعية والأسرية، وخاصةً أن في سيرة هؤلاء العظماء صورًا مشعةً في العلاقات الإنسانية والزوجية والاجتماعية تصلح للنسج على منالها والاقتراس من نورها، ولتُدرس للمثل سيرة النبي عيسى وأمه السيدة مريم بنت عمران، وسيرة نبينا محمد وخديجة الكبرى، وسيرة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء سلام الله عليهما، وآخرين من أولئك القديسين.

(١٨) أطلب: النهار ٢/٩/١٩٩٥، ص ١٨.

ومن جهة الميحيين، فقد برز موقف الفاتيكان. وهو، على الرغم من رغبته في الافتتاح على ما سيُدرس، إلا أنه أعرب عن تحفظاته لا سيما من «الرغبة في فرض نموذج واحد عائد إلى المرأة الغربية، من غير أن يؤخذ في الاعتبار التعددية القائمة خارج هذا النمط»<sup>(١٩)</sup>.

وأسف الفاتيكان أيضًا على غياب الاهتمام الكافي بموضوع العائلة، ذلك بأن «تسعا من كلِّ عشر نساء يتزوجن، وخمسا من كلِّ ست نساء يُرزقن أطفالاً». ورأى أن عمل المرأة في المنزل لا يُعطى الأهمية التي يستحقها في المجتمعات الغربية.

وأهم ما ركز عليه الفاتيكان كان موضوع الإجهاض، «فالحق المعلن بالإجهاض يناقض الحق بالحياة». وأصرَّ أيضًا على رفضه أن تكون «المساواة» بين الرجل والمرأة على حساب إسقاط تميّز المرأة واختلافها، وهو تميّز إن دلَّ على شيء فعلى جوهر أنوثتها<sup>(٢٠)</sup>. وهنا لا بدَّ من الملاحظة كم أنَّ مواقف الفاتيكان وحزب الله والأزهر متقاربة، لأنَّها جميعًا تركز على المقومات الروحية نفسها.

ومبما يكن من أمر التحفظات والتحذيرات، فقد انعقد المؤتمر في موعده غير هيَّاب، وبمشاركة المتخوفين منه.

## ج - الافتتاح وفتح ما استغلق

تميّز افتتاح المؤتمر باحتفالٍ ضخم على مستوى ضخامة عدد المشتركات والبلدان المشاركة وضخامة البلد المضيف. وأقيم الاحتفال في قاعة الشعب الكبيرى، تخلّله أغان ورقصات، وعُزفت فيه سمفونية

(١٩) النهار، ١٩٩٥/٩/١، ص ١١

(٢٠) المرجع نفسه. حول تميّز المرأة والشكامل النائم بينها وبين الرجل، راجع رسالة المطران جوزف دونالد، رئيس أساقفة رُوان Rouens، إلى الكاثوليك الفرنسيين في ١٩٩٥/٨/٣٠ - نفسها في La Documentation Catholique, Paris, 15 oct. 1995, p.

يتهوثن التاسعة، قبل أن يعتلي الرئيس الصيني جيانغ زي مين المنصة الرئيسية مردّدًا في خطابه المثل الصيني المأثور: «للمرأة نصف السماء». ثم أعلنت أمينة المؤتمر العامة، جيرترود مونجيلا، وسط تصفيق الحاضرين: «بدأت الآن ثورة. لا عودة إلى الوراء، لا عودة إلى الوراء».

وحضر الافتتاح، من كبار الشركات، ملكة بلجيكا السابقة فاييولا، ورئيسة إيلندا فيغديس فينوغادوتر، ورئيسات الحكومات بنازير بوتو (باكستان)، وخالدة ضياء (بنغلاديش)، وغرو هارلم برنتلاند (نرويج)، وعدد من زوجات رؤساء البلدان، كالسيدات برناديت شيراك (فرنسا)، وهيلاري كلinton (الولايات المتحدة)، ومنى اليرايوي التي ترأست وفد لبنان. كما ترأست زوجات رؤساء بلاد أخرى وفودها الوطنية، وبينها غايا ونيجيريا وشين والبرازيل وبناما وبرلينيا ومصر.

ولم يستطع أمين الأمم المتحدة العام، الدكتور بطرس غالي، الحضور بسبب وعكة صحيّة ألمّت به، فتاب عنه مساعده عصمت كئاني وألقى كلمة شخّصت بعض ما تعانيه المرأة، ولكنها أعربت أيضًا عن أملها «أن يتجاوز هذا المؤتمر حدّ التفكير في التمييز وعدم المساواة، للتمكّن من تفهّم مطالب النساء بكلّ أبعادها»<sup>(٢١)</sup>.

ومما لفت النظر في تكوين الوفود الرسميّة ضخامة أعدادها<sup>(٢٢)</sup>، وتنوّع مستويات أعضائها، إذ التقى في الوفد الواحد رئيسة الدولة والعاملة، الغنيّة والفقيرة، المثقفة والمرأة العاديّة. واسترعى الانتباه أيضًا أنّ وفد الفاتيكان كان برئاسة امرأة، وهي البادرة الأولى من نوعها تصدر عن عاصمة الكشككة، والرئيسة هي السيدة ماري آن غليندون، أستاذة الحقوق في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأميركيّة، يرافقها ثلاث عشرة امرأة وثمانية رجال، بعضهم من الأحرار<sup>(٢٣)</sup>.

(٢١) النهار، ١٩٩٥/٩/٥، ص ١٦.

(٢٢) لبنان الصغير مثله ٢٥ شخصًا.

(٢٣) لائحة الوفد في *L'Osservatore Romano*, 26/8/95. ومعروف عن رئيسة الوفد =

أما الموضوعات التي طُرحت على يساط البحث، فرعان ما بدت شائكة وعرة المالك. ذلك بأن تيارين أساسيين تواجهها منذ البداية، كما حصل في القاهرة إبان مؤتمر الإسكان. فمن جهة قام فريق الدول «المتحررة»، ومنها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي يطالب على نحوٍ مثير بأن يُعترف للمرأة بحقوقها الجنسية؛ وقابله من جهة أخرى فريق الدول «المحافظة»، لا سيما الإسلامية والفاتيكان، ومالطا وغواتيمالا وهندوراس، يدافع عن مواقفه النابعة من معتقداته الإيمانية وتقاليده. وكانت المواقف أشبه بالتي عرفها مؤتمر القاهرة. وظهر منذ البداية ٤٣٨ نقطة خلاف، عُرفت بالنقاط التي «بين قوسين»، فكادت أن تُغلق الأبواب في وجه المؤتمرين. وراح هؤلاء يذللون الصعاب باللجوء خاصة إلى «الحُرل الرسط». ومن الأمور التي استقطبت الجهود أكثر من سواها، ثلاثة: الحقوق الجنسية، وتعريف الأسرة، ومفهوم المساواة.

## ١ - الحقوق الجنسية

إحتدم الخلاف حول هذه الحقوق بين الحكومات الليبرالية والدول «المحافظة». فالأولى حاولت تضمين الوثيقة النهائية إشارة إلى أنه يحق للمرأة التحكّم في حياتها الجنسية وخصوبتها، فيُسمح لها بالإجهاض، ويُعترف بحقوق «الأمهات غير المتزوجات»، وكل ذلك من باب ربط هذه الحقوق الجنسية بحقوق الإنسان. فاعترضت الدول المحافظة، ورفضت باكستان فكرة الأمهات غير المتزوجات، وأعلن الفاتيكان وإيران معارضتهما مفهوم «الحقوق الجنسية وحق المرأة في التحكّم في خصوبتها»، واكتفيا بالمرافقة على أن تتضمن الوثيقة ولنهائية إشارة إلى وجود «حالات حمل غير مرغوب فيها»<sup>(٢٤)</sup>. ومما قاله عضو الوفود

=الفاتيكاني أنها أم لثلاثة أطفال وعضو مؤسس في الجمعية السائبة للدفاع عن حق الحياة، رسبت أن وجهت رسالة إلى الرئيس كلتون نطلب إليه إعادة النظر في المواقف المناهضة للكاثوليكية في إدارته. ومن الأعضاء السيئة كاثارين هورا هومكواب، وزيرة الصحة سابقاً في نيجيريا.

(٢٤) النهار، ١٩٩٥/٩/٧، ص ١١.

الإيراني، السيدة شهلا حبيبي، إن المؤتمر استرسل إلى حد بعيد في مسألة الإجهاض وكان الأولى به التشديد على كون المرأة أمًا<sup>(٢٥)</sup>.

إلى ذلك، توصلت الوفود، في الساعات الأخيرة، إلى اتفاق يعطي الأبناء حق تقرير شؤونهم الجنسية ويقلص سلطة الوالدين في هذا المجال<sup>(٢٦)</sup>.

## ٢ - مفهوم الأسرة

وقفت الوفود الليبرالية بحزم في وجه محاولات تعريف الأسرة على نحو تقليدي، سعيًا منها إلى إضفاء صفة الشرعية على الأسر غير المألوفة كالتى تتكوّن من أزواج من جنس واحد، أو من والد واحد، فأثارت هذه الأمور غضب الثايتكان وتلا الناطق بلسانه، جواكين نافارو، بيانًا باسم البابا يوحنا بولس الثاني لاحظ فيه أنّ مسودة الوثيقة في ييجينغ تُصوّر سلبًا الزواج والأسرة على نحو يوحى بأنّهما يعوقان المرأة عن تحقيق ذاتها. وقال إنّ الأدهى من ذلك أنّ هناك تحركات تستهدف استبدال كلمة «الأسرة» بكلمة «الأُسرة» في الوثيقة من أجل إدخال أشكال أخرى من الأسر غير الأسرة التقليدية المؤلفة من أب وأم، لتشمل أيضًا أسرة الأم غير المتزوجة، وأسرة أب وأم بلا رباط الزواج، وأسرة تضمّ اثنين من الشاذين جنسيًا. ورأى أنّ موقف الاتحاد الأوروبيّ من تلك التضايا يتعارض تمامًا وإعلان الأمم المتّحدة العالميّ في شأن حقوق الإنسان. وإزاء هذا التضارب وجدوا حلًا وسطًا يُرضي الفريق الأوّل بدون أن يشير الفريق الثاني، فاستعاضوا عن كلمة «أسرة» بعبارة «تعدّد أشكال الأسرة»، فكانت كلمة «أشكال» مُزيلَةً للإشكال!

## ٣ - مفهوم المساواة

لَمَّا كان موضوع مساواة المرأة بالرجل قُطِبَ مطالب النساء في

(٢٥) L'Orient - Le Jour، ١٢/٩/١٩٩٥، ص ٨.

(٢٦) النهار، ١٢/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

بيجينغ، ولما كان، في مقابلة ذلك، يشير معارضة المسلمين لا سيما في شأن الإرث، لمخالفته النصوص القرآنية، حملت إيران لواء مناهضة هذا المفهوم. وقالت إحدى مبعوثاته، توران غامشيديان: «إن مفهوم المساواة غير مقبول. إننا نتمسك بتعاليم الإسلام ولا يمكن أن نغير حكم الله (...). سنمضي قدمًا في طريقنا»<sup>(٢٧)</sup>. وبالإضافة إلى الموقف المبدئي الذي لزمته إيران، قال مرفدوها إن المساواة أمر نسبي يخضع للتفسير. واقترحت الاستعاضة عن الكلمة هذه بكلمة «العدل»، لأن حقوق المرأة والرجل في الإسلام «متكاملة» وليست متساوية. وأيد هذا الاقتراح وفد السودان. ورضي المؤتمرون بالتسوية، حتى إن مسؤولية من الورد الأميركي الذي كافح لإقرار كلمة «المساواة» بين الرجال والنساء في الإرث قالت: «إنها تسوية جيدة، وقد منحت المسلمين ما يريدون من دون أي صياغة تحمل معنيين»<sup>(٢٨)</sup>. وفي الواقع كانت الصيغة التي اتفق عليها في النهاية بتحقيق المساواة في حق الإرث بصرف النظر عن جنس الولد»<sup>(٢٩)</sup>. وهكذا «صُرف النظر»، بلباقة، عن نقطة الخلاف!

وبتسوية أمر المساواة، وسواها من العقبات، استطاع المؤتمرون أن يتخذوا سبيلهم من مخاطر الأتراء، ووصلوا بها إلى ميناء الأمان، رصاعوا، حصيلة لأعمالهم، بيانًا مستفيضًا يُعرَف بـ «إعلان بيجينغ» وأرفقوه ببرنامج عمل فُصِّل توصيات غير ملزمة.

#### د - الختام والانطلاق: تقديم فتقويم

بعد أحد عشر يومًا من المطارحات والسنائشات الصاخبة، اختتم مؤتمر بيجينغ في ١٦ أيلول، وتضمن «الإعلان» الصادر عنه و«برنامج العمل» المرفق، توصيات كثيرة، بلغت في الوثيقة الثانية ٢٦٣ فقرة. وفي ما يلي أبرز ما جاء في الإعلان والبرنامج.

(٢٧) النهار، ١٤/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

(٢٨) النهار، ١٤/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

(٢٩) المرجع نفسه.

## ١ - أهم توصيات «إعلان بيجينغ»

- حقوق المرأة جزء لا يتجزأ من كلّ حقوق الإنسان والحريّات الأساسية، في إطار روح إعلان حقوق الإنسان العالمي والاتفاقات الدوليّة.

- على الحكومات أن تسمح للنساء والفتيات بممارسة هذه الحقوق كاملة، ومكافحة خرقها.

- زيادة إشراك المرأة في السلطة.

- على الرجال المشاركة في معركة تحقيق المساواة بين الجنسين.

- إنّ حقّ المرأة في الإشراف على كلّ الجوانب المتعلقة بصحتها، بما في ذلك خصوبتها، هو المنطلق لتحسين وضعها.

- ضرورة تعزيز استقلال المرأة الاقتصادي، وتمكينها من تحصيل العلم والتربية، والحصول على الرعاية الصحيّة الأساسية، وتمكينها من الوصول إلى وسائل الاقتراض والعلوم وملكيّة الأراضي.

- ضرورة إزالة كلّ أشكال العنف التي تُلحق بالأذى بالمرأة.

- القضاء على الفقر الذي يتطلّب مساهمةً متساويةً من المرأة والرجل في التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وتكافؤًا في الفرص.

- ضرورة وضع برامج حكوميّة عامّة تهدف إلى تعزيز حقوق المرأة.

- من الضروريّ أن يكون دور المجتمع المدنيّ حاسمًا، خاصةً دور المنظمات النسائيّة غير الحكوميّة.

- ضرورة حصول التزام جدّيّ من قِبَل الحكومات والمنظمات الدوليّة والمزسّات على جميع المستويات، وحشد القدرات على الصعيديّن الوطنيّ والعالميّ، لضمان نجاح هذا الإعلان.

## ٢ - أبرز توصيات «برنامج العمل»

- تعزيز حقوق المرأة على أساس أنّها جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان.

- تشجيع مشاركة متساوية بين الرجال والنساء في الحياة السياسيّة والسلطة والقرار.

- إدخال مفهوم المساواة بين الجنسين في جميع القوانين والمبادرات

- والسياسات العامة .
- مكافحة تفشي الفقر بين النساء، وكذلك عوامل تهميشهن (من هذه العوامل عدم الحصول على العناية الصحيّة والتربية والسكن والاستقلاليّة الاقتصاديّة...).
  - تسهيل دخول المرأة عالم المال وتمتعها بإمكان الاتراض لمساعدتها على تأسيس شركات أو القيام بنشاطات تحقّق لها الكسب المادّي .
  - ضمان حصولها على كلّ الخدمات الأوليّة الضروريّة (التعليم والعناية الصحيّة...) وكذلك وصولها، على قدم المساواة بالرجل، إلى الموارد الاقتصاديّة، وضمان حقّها في مجال الإرث، ووصولها إلى وسائل الاتراض والتكنولوجيا والعلوم وملكيّة الأراضي .
  - إحترام حقّ المرأة في الحياة الجنسيّة والإنجاب بحريّة ورضا من دون إكراه أو عنف، والسماح لها بالحصول على وسائل تنظيم الأسرة .
  - إحترام حقّ المراهقين والمراهقات في الاطلاع على الجنس وعلى الأمراض الجنسيّة لدى أجهزة خاصة تضمن لهم السريّة مع الاعتراف بدور الوالدين في هذا المجال .
  - إتخاذ تدابير عاجلة لإلغاء كلّ أوجه التمييز في حقّ النساء .
  - حظر تشويه الأعضاء التناسليّة (ختان الأنثى) .
  - إزالة العنف وأشكال الاستغلال الاجتماعيّ والاقتصاديّ والجنسيّ (كالاعتصاب، بما في ذلك الاعتصاب الزوجي، وأعمال العنف الجسديّة والنفسية، وبيع النساء، والزواج النكريّ، والاتجار بالأعضاء...).
  - حشد كلّ الموارد الماليّة على الصعيدين الدوليّ والوطنيّ - بما في ذلك إيجاد موارد جديدة للدول النامية من خلال المساعدات الثنائية والمتعدّدة الطرف والخاصّة... - لتمويل برامج خاصة بالنساء .
  - إتخاذ تدابير لإلغاء ديون الدول الفقيرة أو خفضها .
  - منح المنظّمات غير الحكوميّة والمنظّمات النسائيّة حريّة كاملة في العمل بسبب دورها الفاعل في تغيير المجتمع .

- إبرام معاهدة ١٩٧٩ المتعلقة بإلغاء كل أشكال التمييز التي تطول النساء من دون أي تحفظات.

٣ - إلى ذلك، اعترف برنامج العمل بعدد من الحقائق، ثمة بعض ما نراد منها بالغ الأهمية:

- إنَّ الرقاية من الحمل غير المرغوب فيه أولوية، ويجب تجنب اللجوء إلى الإجهاض. كما يجب ألا يكون الإجهاض وسيلة لتنظيم الأسرة.

- للمرأة دور أساسي ضمن العائلة، والأمومة أمر مهم.

- للمرأة دور أساسي أيضًا في التنمية الاجتماعية.

- ثمة وجود أشكال مختلفة للحياة العائلية في العالم.

- إنَّ عمليات الاغتصاب في أثناء الحروب جرائم حرب وجرائم في حق الإنسانية.

تلکم قرارات وتوصيات، أجميلُ بها من تطلّعات وأهداف، نظرها مؤتمر بيجينغ وقدمها إلى الإنسانية عامّة والمرأة خاصّة هديةً ثمينة. ولكن كيف تُقوّم الحصيلة؟

#### ٤ - الحصيلة والتقويم

لا بدّ من فترة استرخاء والتقاط الأنفاس بعد ما جرى في بيجينغ من نهافت سريع، وانكباب لم يخلُ من التشنج. وما إن تهدأ الخواطر وسأل المراقب نفسه عمّا كان من أمر تلك المعصنة وما حُشد لها من طاقات، حتّى يُصاب أوّل وهلة بشيء من خيبة الأمل. ويهمس في باله هامس متشائم: «أسمّع جمعةً ولا أرى منحنًا»، ويهتف له هاتفٌ آخرٌ مثلًا آخرٌ يتمثل به في هذه المناسبة: «تسحّض الجيلُ فولدٌ فأرًا».

٥ بعض السليّات

وقد يزيد من يبالغ في التشاؤم يُعرب عن استيائه لِمَا راتق هذه التظاهرة الدلويّة من مظاهر فولكلورية حاكت الغرابة ودعت إلى الاستهجان، كما حصل لِمَا ضالّبت بنات الهوى بحقوقهنّ، معبّرات أنّ

عملهم من الأعمال النافعة في المجتمع. ومثلهم كمثل من يدعي أن ترويج المخدرات عمل من الأعمال النافعة. والمهم هنا وهناك الاتفاق على ما هو نافع وما هو مضر، وأين تبدأ المنفعة وأين تستحيل إلى ضرر! ولا شك في أن هناك من أفاد من هذا الحشد الغفير في بيجينغ، وما سُلط عليه من أسواء، ليبرز في الصدارة ويظهر على شاشات التلفزيون، مع قليل من الاستجمام والسياحة، فضلًا عما قيل من أن هذه أو تلك من زوجات القادة السياسيين دعمت، بأسلوب غير مباشر، حملة زوجها الانتخابية<sup>(٣٠)</sup>.

ولكن، مهما يكن من أمر هذه الهفوات الشكلية، فهناك نقيصة واحدة أساسية لم يستطع المؤتمرون تداركها، وهي أنهم اضطروا إلى الاكتفاء بإعلانات عاقبة تبقى في سوادها الأعظم على مستوى المبادئ. وهذا بين لدى تصفح «الإعلان» الرسمي. وسبب ذلك بين أيضًا. إذ إنه كان من الصعب التوفيق بين تقاليد عريقة يحتمي بها هذا الفريق أو ذلك، وهي على طرفي نقيض، وغائبًا ما تجذر في ديانات لا يقبل أتباعها أن تُمسَّ تعاليمها لأنها ليست من صنع البشر. لذا توجب على المؤتمرين أن يجدوا حلولًا وسطًا، بها يرضون الجميع. ومن أراد أن يرضي الجميع قبل بتنازلات وزاغ سهمه. وكثيرًا ما تُركت أمور حساسة جوهرية لرحمة كل بلد وحكومة، مع الدعوة الخجولة إلى «اتخاذ الخطوات والتدابير اللازمة»... غير الملزمة! ولهذا فإتنا لنشك، كما يشك سوانا كثيرون، في أن ترى السنوات الخمس التي تفصلنا عن موعد انعقاد المؤتمر التالي، تغييرًا جذريًا في كثير من المواقف.

وعلى الرغم من هذا الشخص الطبيعي، الذي لا مناص منه، إذا ما أُريدَ احترام مختلف القيم الدينية والأخلاقية والتقاليد، فلم يخلُ المؤتمر من الإيجابيات، ولم يكن عددها قليلًا.

(٣٠) راجع ما قاله إحدى المشاركات في الوفد الإنكليزي بعد مداخلة السيدة هيلاري كلينتون التي لفت الانتباه بعنفها: النهار، ١٩٩٥/٩/٧، ص ١١.

## ◦ كثير من الإيجابيات

في حفل اختتام المؤتمر، قالت أميته العامة، مشيرةً إلى أن عجلة ما بعد المنتدى قد انطلقت وإن بتواضع: «يقول مضيفونا في الصين إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة». ولا شك في أن مؤتمر ييجينغ خطا خطوة إلى الأمام، لا بل خطوات، وبعضها واسع. ولئن قُورن بالمؤتمر الذي التأم في نيروبي، العام ١٩٨٥، وقد قيل فيه إنه البوصلة، فمؤتمر ييجينغ كان «الخريطة التفصيلية» على حدّ تعبير أحدهم<sup>(٣١)</sup>.

- فمن حسنات مؤتمر ييجينغ أنه أعاد تأكيد ما سبق أن قيل في ما مضى، وتوافق ممثلو ١٨١ دولة على ضرورة تحسين أوضاع المرأة ورفع ما لحق بها من حيف وبلحق.

- ومن حسناته أيضًا أنه نجح في وضع الإصبع على بعض أسباب تردي أحوال المرأة، وهي الظروف الاقتصادية والاجتماعية في الدول الفقيرة، وشدّد على ضرورة تحسين هذه الظروف (من خلال تقديم المساعدات من قِبَل الدول الغنية)، لتحسين أوضاع المرأة وبالتالي تعزيز حقوقها.

- لقد اعترف المؤتمر بما يقوم به الدين والحياة الروحية لرفع شأن الرجل والمرأة.

- أقر المؤتمر دور المرأة أمًا.

- إعتبرف بأن للمرأة دورًا تقوم به في الحياة السياسية والشؤون العامة، وبالتالي ينبغي تعزيز وعي المرأة قدراتها في هذا المجال وفي المجالات الأخرى.

- إعتبرف المؤتمر بأن عمليات الاغتصاب في أثناء الحروب هي جرائم حرب، ويجب أن يعاقب مرتكبوها على هذا الأساس، فلا تعود المرأة ضحية عنف ليست مسؤولة عنه.

- طالب المؤتمر الدول بتوقيع المعاهدات الدولية التي لها صلة بالمرأة،

---

(٣١) النهار، ١٦/٩/١٩٩٥، ص ١٣.

- فيصبح بذلك التزام هذه البلدان التزامًا قانونيًا لا مجرد كلام وتمنيات .
- حقق المؤتمر تقدمًا على سابقه من جهة حقوق المرأة في حياتها الجنسية . فلما كانوا يعترفون لها في ما مضى بحقوقها مرتبطة بشؤون الصحة والإنجاب فقط، أُقِرَّ لها في بيجينغ أن تُحاط حياتها الجنسية بالاحترام وأن تتم في جوٍّ من التوافق والمسؤولية المشتركة .
- على وجه الإجمال، وقبل كل شيء، اعترف في بيجينغ بأن حقوق المرأة هي جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان .
- وبقي أمر إيجابيّ أخير، الأهم في نظرنا، وهو أن مجرد اللقاء في مثل مؤتمر بيجينغ، إنما هو فتح مبین . فاجتماع عشرات الآلاف من النساء، الآيات من كلِّ حدبٍ وصوب، على اختلاف مشاربهن وتقاليدهن ومستوياتهن الاجتماعية والثقافية، بثبت أسس ثقافية عالمية شاملة تتمحور حول المرأة . فكلُّ احتكاك يُتَّجج قبسًا من نور، وكلُّ تواصل يصل أمله إلى هدف . وحسب هذه الجمهرة الغفيرة من النساء المناضلات أنهن قرعن النوايس، إن لم نقل قرعن العيصي، وأنهن أيقظن النيام وتبين المتعاسين، وحركن المياه الراكدة، ملائكة شدة ورحمة على حد سواء، كذاك الملاك الذي كان ينزل في بركة بيت ذاتا بأورشليم، فيثور الماء، ويتم، لمن يفتس فيه، الشفاء (يوحنا ٥ : ٢) .

## بعض المراجع

يضاف إلى ما ورد في الهوامش :

- لرصف الماجريات : 16/9/ 1150-1151; 9/9/1995, *The Tablet*, London, 9/9/1995, p. 1160-1163; 23/9/95, p. 1220-1221.

- للرائتي الثانية كائنة : 15 octobre, *La Documentation Catholique*, Paris, 1995, p. 878-888.